خصمي، وأنا

قال لي شيخي وهو يمسح وجهي يباركني:

– أنت واحد من الذين يحملون عبء إعادة ترتيب الكون بما تملكه من روح ريحانية متوهجة، وثمن ذلك احتراقك حتى ينبعث النور.

قلت له:

– أكره رؤية نفسي تواجهني، فأنا مزيج من ذاتي ونفسي، تعودت أن اتجاهل سحنتي كلما مررت بمرآة حتى لا يصبني الفزع من رؤية هذه السحنة، وما يصيبها من تبدل وهرم.

قال لي مبتسماً في حنو:

– لا تقلق... هذه علامة الأقدار أن الرحلة قاربت الاكتمال، فلا تأسى.

أمسكت يدي بخرقة تحاول محوي من المرآة، فمنعني، وربت على، ونظر لي نظرة ذات دلالة لم تخف عني، وامتزج بالتراب، وهو يضحك قائلاً:

– أنظر لي وقد صرتُ آدم الذي أرفض... أنت مثلي ومآلك مآلي، فلا تخشى المرآة لأنها أصدق من خيالك الذي يعدك أن تكون الصارخ بالحق الذي ينحت أياد بيضاء من طين، وهذا محض وهم.

صرخت مرتعباً:

– أرفض أن أكون هذا الذي ليس أنا، فلستُ رمزاً أبيضاً... أنا المتورط في لعبة الإنسان الذي يريد الوجود مع سبق الإصرار والترصد.

جاءني صوته من تحت التراب:

– وهل أفلحت؟

تأكد لي أني لم أفلح، فامتزجت بالتراب، مستسلماً للأقدار التي أخرجتني للوجود.